الفصل الثامن

مواقف من تاريخنا

- من أحاديث السفراء.
- الشيخ محمد الرضواني.
- شهيد القسطل عبد القادر الحسيني.
- وصية عثمان: مؤسس الدولة العثمانية.
- نور الدين زنكي.
- أبو حازم والخليفة سليمان بن عبد الملك.

(1)

من أحاديث السفراء

حدثني الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري، وكان سفيراً لبلاده في المملكة العربية السعودية.. عن حوار دار بينه وبين السفير الأمريكي.. فقال:

التقيت بفلان الذي كان سفيراً لدولة أجنبية كبيرة، وكان هذا اللقاء في منزل السفير نفسه الذي دعا رجال السلك الدبلوماسي إلى حفلة عشاء عنده.

قال السفير العربي:

قلت لمضيفنا وقد جلست قريباً منه:

ما رأيك في إعدام قادة الإخوان المسلمين في مصر..؟

فظهر عليه الاستياء الشديد وقال:

«إننا لا نرضى عن هذا الأسلوب من أجل القضاء على الحركات الدينية،

obeikandl.com

لأن الدماء تحيي العقائد وتلهب الشعور الديني، وقد كنا اتفقنا مع حكومة الثورة، ثمناً لمساندتنا لها، أن تعمل على القضاء على جماعة الإخوان بالمكر والحيلة، وأن تحدد النسل، وتؤجل إثارة القضية الفلسطينية.

وأراهم قد خالفوا اتفاقنا حين سقوا شجرة الإخوان بدم الشهداء».

لماذا تخافون الإخوان؟

قلت لمحدثي: ولكن لماذا تخشون الإخوان؟ وهم جماعة دينية ليس لهم حول ولا قوة ولا سلطان؟.

قال: لأن الإخوان يريدون الحاكم المسلم الذي يحكم بأسلوب عمر بن الخطاب، الذي كان يدير الدولة الواسعة، ويسير الجيوش الفاتحة المتدافعة، وهو ينام على التراب تحت شجرة!.

قال: فإذا نجحوا في إيجاد هذا الحاكم فإن الشعوب لن ترضى بغير مثيله لها حاكماً.

قال السفير العربي: ورأيت من واجبي كسفير لدولتي أن أضمن هذا الحديث رسالة خاصة أرسلتها إلى حكومتي.

ما زال الإسلام.. الذي أنجب أمثال الحاكم العادل عمر بن الخطاب.. هو ما يخشون..

فإذا ظهرت جماعة مؤمنة، تريد أن تعيد هذا المجد العظيم، عندها تولد المؤامرات..! وعلى المسلم الذي يفهم دينه أن يكون في صف هؤلاء الدعاة!.

(2)

الشيخ محمد الرضواني

من علماء الموصل في العراق.. يتحدث عنه الأستاذ محمد محمود الصواف في ذكرياته فيقول: وكان الشيخ الرضواني رحمه الله يرجع إليه الناس في

فتاواهم وفي مشاكلهم وخصوماتهم، وقوله هو القول الفصل حيث كان غنياً، وعرف عنه أيام القحط والمجاعات يحمل الدقيق في الليالي ذوات العدد على ظهره ويضع في كل كيس شيئاً من النقود ويذهب إلى البيوت الفقيرة، وحتى الحراس عرفوه فكانوا لا يعترضونه وهو يأتي في الليل يحمل الهبات والعطايا.

كان الشيخ محمد الرضواني عالماً جليلاً، نشأ علماء الموصل كلهم على يديه، وهو أستاذهم وشيخهم المطاع، وكان مرآة بوجهه المشرق ولحيته البيضاء.

عندما زار الملك فيصل الأول الموصل بعد قيام الحكم الوطني في العراق وزاره في مقره كل علماء الموصل، فتنبه إلى غياب الشيخ الرضواني.. فسأل عنه، فقالوا: إنه لا يحب أن يأتي لأنه مشغول بعبادته وعمله، والتمسوا له الأعذار.

وفاجأهم الملك، بقوله: أنا سأذهب إليه. ولما سمع الشيخ ذلك، وليس عنده مكان مناسب لزيارة الملك، قرر زيارته فاستقبله الملك استقبالاً عظيماً وقال له: اطلب ما تشاء.. فقال الشيخ: أطلب منك ألا تكلفني وألا أكلفك بزيارتي مرة أخرى.. هذا الذي أرجوه منك فقط[1].

بمثل هؤلاء العلماء الربانيين.. يكون الاقتداء!.

(3)

شهيد القسطل عبد القادر الحسيني

لم تمض على عودة المجاهد عبد القادر الحسيني من مرسى مطروح إلى فلسطين أيام، حتى فوجئنا بنبإ استشهاده، فقد ذكرت المصادر العربية أن السيد عبد القادر الحسيني القائد العربي المعروف استشهد اليوم في المعركة التي دارت بين العرب واليهود في منطقة (القسطل) التي تبعد ثمانية كيلومترات غرب مدينة القدس.

(1) ذكريات الصواف، ص: 24.

فكتب الإمام حسن البنا يرثيه فقال:

«﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

الشهيد العزيز الحميد السعيد الذي فقدته الأمة العربية أحوج ما تكون إلى عز شبابه وفتوة جهاده وقوة مضائه، والذي عاش من أجل العروبة والإسلام وجاهد في سبيل العروبة ووقف أنبل مواقف البطولة والشرف والخلود، وإن شهادة الحق عين البقاء، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]، كان عبد القادر الحسيني أبرّ الناس بوطنه وأمته، كان أشد الناس عزوفاً عن المطامع الشخصية والمنافع الذاتية وأصفاهم نية في جهاده الدائب المبرور المتواصل، ولقد كان يقول لأصدقائه فيما بينه وبينهم: سأجاهد في سبيل فلسطين المظلومة حتى تتحرر ولن أقيم بها بعد ذلك، وفي وطن العروبة والإسلام موضع لمستعمر بل سأظل هكذا مجاهداً حتى يتحرر هذا الوطن كله أو أموت دون ذلك.

أتقن آباؤنا وأجدادنا عليهم رضوان الله صناعة الموت، وعرف أحدهم كيف يختار المكان الذي يموت فيه، والأسلوب الذي يلقى الله عليه في الزمان الذي قدره الله له، وكان عامة دعائهم في سجودهم وأقصى أمانيهم أن يموتوا شهداء، وأن يجنبهم الله موتة الضعفاء الجبناء، وبهذه الروح استطاع هؤلاء الآباء والأجداد أن يعيشوا في أرفع منازل الكرام وأن يموتوا في أنبل مواقف المجد والبطولة. ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] ونسينا نحن هذه الصناعة، وطال علينا الأمد في مهاد الراحة والدعة. فطمع فينا من لا يدفع عن نفسه وصرنا نهباً مقسماً بين الأمم والشعوب وبددنا هذا الميراث الضخم الذي أقامه هؤلاء الأسلاف الكرام بالكفاح والجهاد وبذل المهج والأرواح لله العلي الكبير».

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 15.

(2) سورة آل عمران، الآية: 169.

(3) سورة آل عمران، الآية: 148.

بكل من أتقن صناعة الموت في سبيل الله والأوطان..

من أمثال حسن البنا وعبد القادر الحسيني يكون الاقتداء.

(4)

وصية عثمان: مؤسس الدولة العثمانية

كانت حياة الأمير عثمان مؤسس الدولة العثمانية، جهاداً بالحرب، أما التخطيط الإداري والتنفيذ في الإمارة فقد كان موكلاً إلى علماء الدين وكانوا يحيطون بالأمير ويتولون مسؤولياتهم.

مات عثمان بينما كان ابنه أورخان يحاصر مدينة بورصة، وكتب لابنه أورخان وهو على فراش الموت وصية، التزم بها أورخان وكل من جاء بعده من سلاطين العثمانيين.

ونظراً للدلالة الحضارية والتاريخية لهذه الوصية، فإنا نقدمها مترجمة إلى اللغة العربية.

يقول عثمان في وصيته:

«يا بنيّ! إياك أن تشتغل بشيء لم يأمر به الله رب العالمين، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلاً.

يا بنيّ! أحط من أطاعك بالإعزاز، وأنعم على الجنود، ولا يغرنك الشيطان بجندك وبمالك، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة.

يا بنيّ! إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق، فتحدث مرضاة الله جل جلاله.

يا بنيّ! لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهرة حكم أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت، وهذا يا ولدي ما أنت أهل له».

ولعل هذه الوصية كانت النبراس الذي جعل العثمانيين يهتمون بالعلم

وبالمؤسسات العلمية وبالجيش وبالمؤسسات العسكرية، وبالعلماء واحترامهم، وبالجهاد الذي أوصل فتوحاتهم إلى أقصى مكان وصلت إليه راية جيش مسلم، وبالإدارة وبالحضارة.

وكانت أوّل تطبيقاتها، في عهد الموصى إليه: أورخان بن عثمان، فقد أقام أوّل جامعة إسلامية في الدولة العثمانية، وأقام أول جيش نظامي في تاريخ العالم.

بمثل هذه القيادات المجاهدة تكون القدوة.

(5)

نور الدين زنكي[1]

عندما تولى نور الدين زنكي السلطة بعد وفاة أبيه.. وجاء الناس لتهنئته وجدوه عابس الوجه مقطب الجبين.. فلما جاء يوم الجمعة.. وكان السلطان حاضراً في مسجد بني أمية.. جعل خطيب المسجد وهو مفتي المسلمين في الشام، خطبته عن بشاشة الوجه وهشاشته وأن رسول الله ﷺ كان كذلك مع الناس.

وبعد الصلاة كان من عادتهم أن يجلس السلطان وعلماء الأمة مع رجالات الحكم في مجلس خاص يتناولون أهم القضايا، وفي المجلس سأل مفتي المسلمين السلطان عن هذا العبوس والمسلمون فرحون به.. وهم يتمنون أن يروه مسروراً.. فلماذا كل هذا العبوس؟.

ويقول السلطان نور الدين: والله إنني لأستحيي من الله أن يراني مبتسماً وفي ديار الإسلام قدمٌ لكافر!.

أتريدني أن أبتسم والقدس بيد الصليبيين؟.

لا والله، حتى أخوضها جهاداً في سبيل الله، وأستنقذ المسجد الأقصى..

(1) من سجل ذكرياتي، محمد الصواف، ص: 31.

أتريدني أن أسرّ والمسجد الأقصى في الأسر..؟».

ألا من بطل يطل علينا من بلاد الله الواسعة..

يقتدي بعماد الدين وصلاح الدين.. ويحرر القدس؟.

(6)

أبو حازم والخليفة سليمان بن عبد الملك

أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْكُمَيْتِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ وَهْبٍ الْهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ ابْنُ مُوسَى قَالَ:

مَرَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُرِيدُ مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا أَيَّاماً، فَقَالَ: هَلْ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ أَدْرَكَ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟.

فَقَالُوا لَهُ: أَبُو حَازِمٍ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَازِمٍ مَا هَذَا الْجَفَاءُ؟.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَيُّ جَفَاءٍ رَأَيْتَ مِنِّي؟.

قَالَ: أَتَانِي وُجُوهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَلَمْ تَأْتِنِي.

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُعِيذُكَ بِاللهِ أَنْ تَقُولَ مَا لَمْ يَكُنْ، مَا عَرَفْتَنِي قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ، وَلا أَنَا رَأَيْتُكَ.

قَالَ فَالْتَفَتَ سُلَيْمَانُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ فَقَالَ: أَصَابَ الشَّيْخُ وَأَخْطَأْتُ.

قَالَ سُلَيْمَانُ: يَا أَبَا حَازِمٍ مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟.

قَالَ: لأَنَّكُمْ خَرَبْتُمُ الآخِرَةَ وَعَمَّرْتُمُ الدُّنْيَا فَكَرِهْتُمْ أَنْ تُنْقَلُوا مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخَرَابِ.

قَالَ: أَصَبْتَ يَا أَبَا حَازِمٍ، فَكَيْفَ الْقُدُومُ غَداً عَلَى اللهِ؟.

قَالَ: أَمَّا الْمُحْسِنُ فَكَالْغَائِبِ يَقْدُمُ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ فَكَالآبِقِ يَقْدُمُ عَلَى مَوْلاهُ.

فَبَكَى سُلَيْمَانُ وَقَالَ: لَيْتَ شِعْرِي مَا لَنَا عِنْدَ الله؟.

قَالَ: اعْرِضْ عَمَلَكَ عَلَى كِتَابِ الله.

قَالَ: وَأَيُّ مَكَانٍ أَجِدُهُ؟.

قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[1].

قَالَ سُلَيْمَانُ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ يَا أَبَا حَازِمٍ؟.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: يَا أَبَا حَازِمٍ فَأَيُّ عِبَادِ الله أَكْرَمُ؟.

قَالَ: أُولُو الْمُرُوءَةِ وَالنُّهَى.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: فَأَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ مَعَ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ.

قَالَ سُلَيْمَانُ: فَأَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: دُعَاءُ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ لِلْمُحْسِنِ.

قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟.

قَالَ: لِلسَّائِلِ الْبَائِسِ وَجُهْدُ الْمُقِلِّ لَيْسَ فِيهَا مَنٌّ وَلا أَذًى.

قَالَ: فَأَيُّ الْقَوْلِ أَعْدَلُ؟.

قَالَ: قَوْلُ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ تَخَافُهُ أَوْ تَرْجُوهُ.

قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟.

---

(1) سورة الانفطار، الآيتان: 13 - 14.

قَالَ: رَجُلٌ عَمِلَ بِطَاعَةِ الله وَدَلَّ النَّاسَ عَلَيْهَا.

قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَحْمَقُ؟.

قَالَ: رَجُلٌ انْحَطَّ فِي هَوَى أَخِيهِ وَهُوَ ظَالِمٌ، فَبَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: أَصَبْتَ فَمَا تَقُولُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ؟.

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَ تُعْفِينِي؟.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: لاَ وَلَكِنْ نَصِيحَةٌ تُلْقِيهَا إِلَيَّ.

قَالَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ آبَاءَكَ قَهَرُوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ وَأَخَذُوا هَذَا الْمُلْكَ عَنْوَةً عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلا رِضَاهُمْ، حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، فَقَد ارْتَحَلُوا عَنْهَا؛ فَلَوْ أُشْعِرْتَ مَا قَالُوا وَمَا قِيلَ لَهُمْ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا أَبَا حَازِمٍ.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: كَذَبْتَ، إِنَّ اللهَ أَخَذَ مِيثَاقَ الْعُلَمَاءِ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نُصْلِحَ؟.

قَالَ: تَدَعُونَ الصَّلَفَ وَتَمَسَّكُونَ بِالْمُرُوءَةِ وَتَقْسِمُونَ بِالسَّوِيَّةِ.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: كَيْفَ لَنَا بِالْمَأْخَذِ بِهِ؟.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: تَأْخُذُهُ مِنْ حِلِّهِ وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا حَازِمٍ أَنْ تَصْحَبَنَا فَتُصِيبَ مِنَّا وَنُصِيبَ مِنْكَ؟.

قَالَ: أَعُوذُ بِالله.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: وَلِمَ ذَاكَ؟.

قَالَ: أَخْشَى أَنْ أَرْكَنَ إِلَيْكُمْ شَيْئاً قَلِيلاً فَيُذِيقَنِي اللهُ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: ارْفَعْ إِلَيْنَا حَوَائِجَكَ.

قَالَ: تُنْجِينِي مِنَ النَّارِ وَتُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ.

قَالَ سُلَيْمَانُ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيَّ.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَمَا لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ غَيْرُهَا.

قَالَ: فَادْعُ لِي.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيَّكَ فَيَسِّرْهُ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ كَانَ عَدُوَّكَ فَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: قَطُّ.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: قَدْ أَوْجَزْتُ وَأَكْثَرْتُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ فَمَا يَنْفَعُنِي أَنْ أَرْمِيَ عَنْ قَوْسٍ لَيْسَ لَهَا وَتَرٌ.

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: أَوْصِنِي.

قَالَ: سَأُوصِيكَ وَأُوجِزُ: عَظِّمْ رَبَّكَ وَنَزِّهْهُ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ.

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ دِينَارٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَنْفِقْهَا وَلَكَ عِنْدِي مِثْلُهَا كَثِيرٌ. قَالَ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أُعِيذُكَ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ سُؤَالُكَ إِيَّايَ هَزْلاً أَوْ رَدِّي عَلَيْكَ بَذْلاً، وَمَا أَرْضَاهَا لَكَ فَكَيْفَ أَرْضَاهَا لِنَفْسِي» وَكَتَبَ إِلَيْهِ: «إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهَا رِعَاءً يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ جَارِيَتَيْنِ تَذُودَانِ فَسَأَلَهُمَا فَقَالَتَا ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[1]، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ جَائِعاً خَائِفاً لاَ يَأْمَنُ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَلَمْ يَسْأَلِ النَّاسَ، فَلَمْ يَفْطِنِ الرِّعَاءُ وَفَطِنَتِ الْجَارِيَتَانِ، فَلَمَّا رَجَعَتَا إِلَى أَبِيهِمَا أَخْبَرَتَاهُ بِالْقِصَّةِ وَبِقَوْلِهِ، فَقَالَ أَبُوهُمَا وَهُوَ

(1) سورة القصص، الآية: 24.

شُعَيْبٌ: هَذَا رَجُلٌ جَائِعٌ، فَقَالَ لإِحْدَاهُمَا: اذْهَبِي فَادْعِيهِ، فَلَمَّا أَتَتْهُ عَظَّمَتْهُ وَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[1]، فَشَقَّ عَلَى مُوسَى حِينَ ذَكَرَتْ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يَتْبَعَهَا، إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْجِبَالِ جَائِعاً مُسْتَوْحِشاً، فَلَمَّا تَبِعَهَا هَبَّتِ الرِّيحُ فَجَعَلَتْ تَصْفِقُ ثِيَابَهَا عَلَى ظَهْرِهَا فَتَصِفُ لَهُ عَجِيزَتَهَا، وَكَانَتْ ذَاتَ عَجُزٍ، وَجَعَلَ مُوسَى يُعْرِضُ مَرَّةً وَيَغُضُّ أُخْرَى، فَلَمَّا عِيلَ صَبْرُهُ نَادَاهَا: يَا أُمَةَ اللهِ كُونِي خَلْفِي وَأَرِينِي السَّمْتَ بِقَوْلِكِ: ذَا.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى شُعَيْبٍ إِذَا هُوَ بِالْعَشَاءِ مُهَيَّأً، فَقَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: اجْلِسْ يَا شَابُّ فَتَعَشَّ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَعُوذُ بِاللهِ، فَقَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: لِمَ؟ أَمَا أَنْتَ جَائِعٌ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا عِوَضاً لِمَا سَقَيْتَ لَهُمَا، وَإِنَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لاَ نَبِيعُ شَيْئاً مِنْ دِينِنَا بِمِلْءِ الأَرْضِ ذَهَبًا، فَقَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: لَما يَا شَابُّ، وَلَكِنَّهَا عَادَتِي وَعَادَةُ آبَائِي، نُقْرِي الضَّيْفَ وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ، فَجَلَسَ مُوسَى فَأَكَلَ.

فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمائَةُ دِينَارٍ عِوَضاً لِمَا حَدَّثْتُ فَالْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ فِي حَالِ الاضْطِرَارِ أَحَلُّ مِنْ هَذِهِ، وَإِنْ كَانَ لِحَقٍّ لِي في بَيْتِ الْمَالِ فَلِي فِيهَا نُظَرَاءُ، فَإِنْ سَاوَيْتَ بَيْنَنَا وَإِلَّا فَلَيْسَ لِي فِيهَا حَاجَةٌ.

(1) سورة القصص، الآية: 25.

obeikandl.com